بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٠١٤/٤/٢٥م

" الأمانة فى القول والعمل"

أولًا : العناصر :

١- الأمانة ومنزلتها في الإسلام.

٢- أثر تضييع الأمانة على الفرد المجتمع.

٣- خطورة الكلمة ومسئولية قائلها .

٤- النموذج البشري الأمثل للأمانة.

٥- جزاء تضييع الأمانة في الدنيا والآخرة .

٦- ضياع الأمانة من علامات الساعة.

ثانيًا : الأدلة :

<u>الأدلة من القرآن الكريم:</u>

١. **قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}[النساء : ٥٨].**

٢. **وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا * إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب: ٧٠ - ٧٢]**

٣. **وقال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[المؤمنون : ٩ - ١١].**

٤. **وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}[الأنفال : ٢٧ ، ٢٨].**

٥. وقال تعالى: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} [الأنفال: ٥٨]

٦. وقال تعالى: {...فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٨٣]

٧. وقال تعالى: {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}[آل عمران:٧٥ ، ٧٦].

٨. وقال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [الأنعام: ١٥٢].

٩. وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...} [المائدة: ١].

<u>الأدلة من السنة :</u>

١- عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ (يعني رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم): «فَزَعَمْتَ أَنَّهُ أَمَرَكُمْ (يَأْمُرُ) بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ»[صحيح البخاري].

٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ »[متفق عليه].

٣- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[أخرجه البخاري].

٤- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَّا قَالَ: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ »[أخرجه أحمد والبزار].

٥- وعن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) «الْخَازِنُ الأَمِينُ الَّذِي يُؤَدِّي مَا أُمِرَ بِهِ طَيِّبَةً نَفْسُهُ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقَيْنِ»[أخرجه البخاري].

٦- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ : كُنْتُ أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَمَرَّ بِي النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وأبو بكر وَأَنَا غُلَامٌ فَقَالَ لِي : «يَا غُلَامُ هَلْ مِنْ لَبَنٍ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ، وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ، قَالَ: فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ ؟ فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا، فَنَزَلَ لَبَنٌ فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ، فَشَرِبَ وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: انْقَلِصْ فَقَلَصَ، قال ثم أتيته بعد هذا فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ ،قال: فَمَسَحَ رَأْسِي وَقَالَ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ إِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ »[أخرجه أحمد] .

٧- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ»[أخرجه أبوداوود].

٨- وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ فَقِيلَ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ»[متفق عليه].

٩- وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»[أخرجه مسلم].

١٠- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : «إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»[صحيح البخاري].

ثالثا- الموضوع :

إن من أبرز ملامح الدين الإسلامي وأهم أخلاقياته خلق الأمانة، التي يقوم عليها بناء المدنية، والتي يكون بها حفظ العمران، وإصلاح حال الأمة، والتي لا بقاء لدولة بدونها، لأن عليها مدار الثقة في جميع المعاملات، ومن ثَمَّ أمرنا الله (عز وجل) بها فقال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}[النساء : ٥٨]، يقول المفسرون:" الأمانة على أنواع:

١- أمانة العبد مع ربه: وهي ما عُهد إليه حفظه من الائتمار بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه، واستعمال مشاعره وجوارحه فيما ينفعه ويقربه من ربه، لأن المعاصيَ كلَّها خيانة لله عز وجل.

٢- أمانة العبد مع الناس، ومن ذلك: رد الودائع إلى أربابها، وعدم الغش وحفظ السر ونحو ذلك مما يجب للأهل والأقربين وعامة الناس والحكام، ويدخل في ذلك: عدل الأمراء مع الرعية وعدل العلماء مع العوام بأن يرشدوهم إلى الاعتقادات السليمة، والأعمال التي تنفعهم في دنياهم وأخراهم من أمور التربية الحسنة وكسب الحلال، ومن المواعظ والأحكام التي تقوي إيمانهم وتنقذهم من الشرور والآثام وترغبهم في الخير والإحسان، وعدل الرجل مع زوجه بألا يفشي أحد الزوجين سرًا للآخر، ولا سيما السر الذي يختص بهما ولا يطلع عليه عادةً سواهما، فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): « إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا »[صحيح مسلم].

٣- أمانة الإنسان مع نفسه بألا يختار لنفسه إلا ما هو الأصلح والأنفع له في الدين والدنيا، وألا يَقْدُمَ على عمل يضره في آخرته أو دنياه.

ولما كان الأنبياء والرسل (عليهم السلام) قدوتنا وأسوتنا وجدنا أن أهم خلق اتصفوا به هذا الخلق، فهم أمناءُ الله (عز وجل) على وَحيه قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}[المائدة : ٦٧]، وقال(صلى الله عليه وسلم): «ألا تُأَمِّنُوني وأنا أمينُ مَنْ في السماء، يأتيني خبرُ السماء صباحًا ومساءً»[متفق عليه].

فخلق الأمانة مما يجب في حق الأنبياء والرسل، لذلك هم يأمرون به، ويحثون عليه، ويؤكد ذلك سؤال هرقل عظيم الروم أبا سفيان عن دين الإسلام وعن صفةِ نبيه (صلى الله عليه وسلم) أخبره أنه يأمر بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ" فقَالَ له هرقل : هَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ " فأبو سفيان في هذا الموضع يذكر ما رآه أهم ما يميز الإسلام.

ولقد تَمَثَّلَ خلق الأمانة في أعلى صوره وأكمل معانيه في شخص سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) حتى إن أعداءه وخصومه كانوا يلقبونه بالصادق الأمين، وحين هاجر (صلى الله عليه وسلم) أمر عليًّا بن أبي طالب (رضي الله عنه) أن ينام في فراشه وأن ينتظر ليرد الأماناتِ المودعةَ عنده إلى أهلها، وهم قوم كفار ناصبوه العداء، وأخرجوه وآذوه وآذوا أصحابَه وأخذوا كل ما يملكون، ذلك لأن المؤمن لا تحل له الخيانة حتى مع أعدائه، والله تعالى يقول: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} [الأنفال: ٥٨]، فالمؤمن لا يعرف الخيانة حتى مع الخائنين، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ».

إن خيانة الأمانة صفة من صفات النفاق، جعلها النبي (صلى الله عليه وسلم) علامة يعرف بها المنافقون، فقال (صلى الله عليه وسلم): "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ"، بل إن النبي (صلى الله عليه وسلم) نفى الإيمان عن خائن الأمانة ومضيعها فقال: "لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ "، وذلك لما يترتب على خيانة الأمانة من قطيعةٍ بين أفراد المجتمع وتباغضٍ يفضي إلى النزاع والشقاق وفساد المعاملات بين الناس، وتكدُّس المحاكم بالعديد من القضايا التي يعدُّ سببها الأول خيانة الأمانة.

إن الأمانة مسئولية كبرى عهد الله بها إلى الإنسان لأنه المخلوق المكلف من قبل الله (عز وجل)، وقد أعطاه الله (عز وجل) من النعم التي تعينه على أداء مسئوليته والقيام بأمانته، قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}[الأحزاب ٧٢]، والأمانة هنا كما قال جمهور المفسرين: كل شيء يؤتمن الإنسان عليه من أمرٍ ونهي وشأنِ دينٍ ودنيا ، فالشرع كله أمانة، ومن جملة هذه الأمانات: أمانة القول والعمل، فالكلمة أمانة، يجب على قائلها أن يتقي الله (عز وجل) فيها، لما لها من خطورة وما يترتب عليها من خير كبير أو شر مستطير، فقد ترفع صاحبها إلى مراتب الصديقين، وقد تهوي به في دركات الهالكين،

فعن بِلاَلِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ (رضي الله عنه) يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»[سنن الترمذي].

إن كلمةً قد تخرج من فم الإنسان بلا تفكير ولا روية فتسبب بلاءً كبيرًا لا يمكن تداركه، لذلك وجب على الإنسان ألا ينطق إلا بالقول الرشيد الذي يصلح ولا يضر، يبني ولا يهدم، يعمر ولا يخرب، يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}[الأحزاب: ٧٠ – ٧١]ولذلك كان توجيه الإسلام إلى التثبت والتحقق من كل ما يقال أو يشاع، إذ ليس كل ما يُقال يُصدق قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } [الحجرات: ٦].

كما أن الأمانة في القول تتطلب الصدق وعدم التحدث بدون علم، ومن ذلك الإفتاء في دين الله (عز وجل) بغير علم، فالتحدث باسم الدين أمانة ومسئولية تحتاج إلى علم، ذلك لأن من يفتي يُبَلِّغُ ويُوقع عن الله (عز وجل)، وكونه يتكلم في دين الله بدون علم خيانة لله ورسوله، يقول الله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٣٣]، وقال سبحانه: {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ} [النحل: ١١٦].

أما الأمانة في العمل فتتطلب أن يراقب الإنسان ربه (سبحانه وتعالى) سواءً أكان صاحب العمل حاضرًا أم غائبًا، وسواءً أكان عملاً عامًا أم خاصًا، وقد قال أحد الحكماء: من الصعب بل ربما كان من المستبعد أو المستحيل أن نجعل لكل إنسان جنديًا أو شرطيًا يحرسه، فالحارس قد يحتاج إلى من يحرسه، والمراقب قد يحتاج إلى من يراقبه، ولكن من السهل أن نربي في كل إنسان ضميرًا حيًا ينبض بالحق ويدفع إليه راقبناه أو لم نراقبه، لأنه يراقبه من لا تأخذه سنة ولا نوم.

وعن عبد الله بن دينار، قال: خرجت مع ابن عمر إلى مكة، فعرسنا، فانحدر علينا راع من جبلٍ، فقال له ابن عمر: أراع ؟ قال: نعم، قال: بعني شاةً من الغنم، قال: إني مملوك، قال: قل لسيدك:

أكلها الذئب، قال: فأين الله عزوجل ؟ قال ابن عمر: فأين الله!! ثم بكى، ثم اشتراه بعدُ فأعتقه[سير أعلام النبلاء].

ما أعظم هدي ديننا وهو يأمرنا بالحفاظ على الأمانة في كل شيء، لأن من علامات قيام الساعة ضياع الأمانة والتّفريط فيها والتّهاوُن في أدائها، وتغليب المصالح الخاصّة على المصالح العامّة فتقطع الأرحام ويُساء الجوار فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُخَوَّنَ الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ، حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَحُّشُ، وَقَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ، وَسُوءُ الْجِوَارِ"[أخرجه أحمد]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عن النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قال: "إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ" قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ "[أخرجه الإمام البخاري]، وكل إنسان لا يؤدي ما يجب عليه من أمانة أو يراقب الناس ولا يراقب الله (عز وجل) فهو خائن، والله لا يحب الخائنين، قال تعالى: {... إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا}[النساء: ١٠٧، ١٠٨]، وقد نهانا الله (عز وجل) عن الخيانة، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [الأنفال: ٢٧].

وبيَّن النبي (صلى الله عليه وسلم) أن خائن الأمانة سيعذب بسببها في النار، وسوف تكون عليه خزيًا وندامة يوم القيامة، فعن ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): " إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ فَقِيلَ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ "[أخرجه مسلم]، فيا لها من فضيحة وسط الخلائق!! تجعل المسلم حريصًا على الأمانة حافظًا لها، ويكفي في خائن الأمانة قولاً أو عملاً أن النبي (صلى الله عليه وسلم) خصيمه يوم القيامة، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ ، وَلَمْ يُوفِهِ أَجْرَهُ"[أخرجه ابن ماجه] ، ألا فليحذر الجميع من العقوبة التي تنتظر مضيع الأمانة، وعلى المجتمع بكل أطيافه أن يرجع إلى كتاب ربه، وسنة نبيه، فتصفو القلوب ، وتتوحد المشاعر، وتتكامل الأدوار لرفعة هذا الوطن ، ويتحقق معنى الخلافة في هذه الأمة وتنطق بخيريتها جميع الأمم ونكون مثالًا ونموذجًا مشرّفًا لهذا الدين العظيم.